المبحث الثالث
مدرسة طليطلة(Toledo) إنموذجاً
لحركة ترجمة التراث الأندلسي

ومن طلائع بدايات حركة الترجمة للتراث العلمي العربي، في القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي)، برزت في أعمال جربرت أورلياك(394-327/1003-838م)بابا روما والذي تغيرت إسمه، وتسمى بـ (البابا سلفستر الثاني)، الذي كانت له رحلة الى الأندلس، في شبابه، فنهل من علوم المسلمين وثقافتهم في قرطبة وإشبيلية[1]، والذي تأثر بالتقدم العلمي في الفلك الرياضيات، فكان بحق أول سفير للعلم العربي في أوربا،فبعد أن أنتخب لمنصب البابوية، أمر بإنشاء مدرستين عربيتين في روما مقر إقامته، وفي ريمس (Rems)، بفرنسا مدرسة (شارتر)، واليه عزية مشر الارقام العربية في أوربا [2]، ولقد عاش الراهب جربرت[3]،والذي أصبح فيما بعد بابا روما بإسم البابا سلفستر الثاني (39.-394هـ /999-45.1م)،وقد إستفاد جربرت كثيراً من ترجمات دير ريبول (Ripll) الذي ساهم بدور لابأس به في الترجمة[4]، بدليل أن تلامذته أنشأوا مدرسة لوران (Lorraine)،التي ينتسب إليها الراهب هيرمان كونتراكتو (Hermann Contracto)(404-446هـ/1013-1045م)[5]، وفي لوران ظهر كتابان في القرن الرابع لهجري العاشر الميلادي عن الإسطرلاب، والتأثير العربي واضح فيهما، ويلاحظ أن بواكير ترجمة العلوم العربية لم تكن منحصرة في دير ريبول بل ببرشلونة[6]، إن مراكز الترجمة نشطت في إسبانيا وفرنسا وغربي أوربا؛ ولاسيما فب برشلونه (Barcelona)وطرزونة (Tarcone) وشقوبية وليون (Léon)وبمبلونة (Pamplona)ومرسية(Murcîa)، ثم كان المركز الرئيسي في نهاية الأمر طليطلة [7]،وكان بلاتو التيفولي (Plato de Tivoli) الذي عاش في القرن الثاني عشر من أقدم النقلة الذين كان لهم الفضل في تعريف الغرب بالعلوم اليونانية والعربية،

---

(1)ابو عبية، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، ص ص 970-971.

(2)العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1964م،، ج1 ص 109ص110؛ الدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ص ص454-455؛ مظهر، جلال، مأثر العرب على الحضارة الأوربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960م، ص72ص74؛ ماريا، خوسيه، نشاط الدراسات الفلكية في لأندلس، بحث منشور في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس، 1377هـ/1957م، ص 313.

(3)تعلم بإسبانيا الفلك والحساب وبقى فيها ثلاث سنوات (967-357هـ /360-970م)، قام بوضع رسالة باللاتينية في الإسطرلاب، وكان قديراً في المنطق والأدب اللاتيني، وكان كثير الإهتمام بالعلوم العربية، ويعود له الفضل في إدخال الأرقام لعربية التي تعلمها في الأندلس، إلى أوربا حتى الصفر كما مربنا في المباحث السابقة.

(4)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 31 .

(5)ترك هذا الراهب حوليات تعرف بـ (Chronid von hermnn Contratus)

(6)أقدم الترجمات في برشلونة ترجع إلى أواسط القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وتمثلت في ترجمة ثلاثة كتب في عمل الإسطرلاب، كما ترجم ليتوس كتاباً في الفلك بأمر من جربرت الراهب.

(7)Charles Hskins, Studies in the History of Medievel Sciences, Cambridge , 1924, P.113

وهو ناقل رسالة البتاني التي نشرت في نورمبرغ سنة (1237م)،وقد أنجز معظم ترجماته في برشلونة، وكان يؤرخ لها بالتقويم الهجري العربي[1].

ومن الأدلة الناصعة على أن الكتب العربية وفي شتى العلوم والفنون كانت متوفرة في أيدي النصارى الإسبان منذ إستيلائهم على مدن الأمدلس، إ؟لى عهد الفونسو الحكيم، ما ذكره ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب)، من أن سلطان المغرب(657- 685هـ/1259-1285م)، إشترط في بنود المعاهدة السلمية التي أبرمها مع " سانسوا " نجل الفنسو الحكيم وذلك في (العشرين من شعبان سنة 684هـ/1280م)ت بعد حروب طويلة بينهما- اشترط أن يبعث إليه ما يجده في بلادهُ بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين، فبعث إليه ثلاثة عشرة حملاً من كتب المسلمين، فأمر السلطان بحملها إلى فاس، وتحبيسها على المدرسة التي أسسها لطلبة العلم[2]، الجدير بالذكر ان النشاط العلمي الذي رعاه الملك الفونسو العاشر الملقب بالحكيم، قد أمتد في أنحاء الأندلس، فأقبل النصارى على إنشاء مدارس لدراسة العلوم العربية في إشبيلية سنة (658هـ/ 1259م) وميروقة(سنة 653هـ/1355م) وبرشلونة (سنة 658هـ/1259م) وبلنسية (سنة 680هـ/1282م)، وقد تطورت بعض هذه المدارس إلى جامعات وأمتد تأثيرها إلى خارج إسبانيا [3]، حتى كان من بين اهتمامات المؤتمر الذي عقد في فيينا (سنة 711هـ/1311م) الإهتمام بترسيخ الدراسات العربية في أوربا، فأنشئت كراسي للغة العربية في جامعات روما وباريس وسلمنكا وبولونيا ومونبيليه وغيرها من المدن التي تألقت في إحتضان العلوم العربية الإسلامية والتوافر على دراستها [4].

مدرسة طليطلة للترجمة التراث الحضاري الأندلسي وطليطلة كما وصفها الحميري: ((مركز لجميع بلاد الأندلس.. عظيمة القطر كثيرة البشر.. كانت عاصمة مملكة القوط القديمة فتحها القائد طارق بن زياد))[5]، المدينة الحصينة التي تقع على نهر تاجة (Taja)، وأصبحت طليطلة بعد الفتح الإسلامي لها سنة (97هـ /715م) من أهم القواعد الأندلسية، وكانت من أمنع المدن في العصور الوسطى لموقعها الجبلي الوعر وأسرارها الضخمة وقلاعها الحصينة [6]، ثم أصبحت طليطلة عاصمة لإحدى دول الطوائف في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وهي دولة بني ذي النون، إلى أن إستولى عليها ملك قشتاله الفونسو السادس، ومنذ ذلك الحين أصبحت طليطلة عاصمة لمملكة قشتالة، ثم المدينة التي تحولت إلى نقطة الإتصال وأنتقال للثقافة العربية إليها، فأقبل العلماء من أوربا النصرانية ينهلون منها العلوم والأداب والفنون، لأنها تميزت في تأريخا الزاهر بكثرة مكتباتها العامرة بذخائر كنوز المعرفة والعلوم،

---

(1)السويسي، محمد، العلوم العربية بالأندلس ونقلها إلى أوربا، بحث مقدم إلى الندوة العالمية للثقافة العربية الإسبانية، دمشق، كانون الأول – ديسمبر، 1990م، ص ص 21-13.

(2)ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتأريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط – المملك المغربية، 1972م، ص 363.

(3)ابو عبية، الحضارة الإسلامية، المجاد الثاني، ص984.

(4)العقيقي، المستشرقون، ج1 ص90.

(5)الحميّري، الروض المعطار، ص 393.

(6) شيخة، جمعة، دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوربا، السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من المتقلبات والعطاءات، القسم الثالث، الحضارة والعمارة والفنون، تحرير، عبدالله بن علي الزيدان، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1317هـ -1996م، ص 130.

فملوكها العرب السابقون لشغفهم العلمي والثقافي، إهتموا بجمع النفائس من الكتب من جميع الأقطار الأندلسية، حتى غدة طليطلة مستودعاً عامراً لكنوز العلم التي جادت به القريحة العربية الإسلامية عبر تأريخم الحضاري العلمي، وكما تميّزت طليطلة بأنها مدينة جمعت التعايش السلمي من قاطنيها من أهل الديانات الثلاث (الإسلام والنصرانية واليهود) وقام اليهود بدور الوساطة في الترجمة بين النصارى والمسلمين[1].

وفي نطاق تلاقح الحضارات وإنتقالها، نؤكد أن طليطلة الأندلسية هي وريثة دمشق وبغداد بالشرق، ذلك أن ما بلغته مركز الحضارة العربية الإسلامية في الشرق في عهدها العباسي القمة في نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية، ومن ثمَ صهّرها في الفكر العربي الإسلامي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، مهدت الأرضية السليمة الأولى التي ستقام عليها مدرسة طليطلة لنقل جهود العرب المسلمين،أخذاً و وفهماً وتمحيصاً وشرحاً وتوضيحاً وإبداعاً وعطاءاً إلى اللغة اللاتينية، ذلك أن الأرضية الأولى التي مهدت لظهور مدرسة طليطلة، كانت عربية محضة، وخاصة إذا علمنا أن خلفاء الأندلس وخاصة عبدالرحمن الناصرلدين الله والحكم المستنصربالله في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، على جلب أمهات الكتب العلمية والفلسفية من أماكن عدة وخاصة بغداد و القسطنطينية، فتكونت في بلاط قرطبة من أثرى المكتبات في كامل أوربا على الإطلاق، ولم تكن هذه المكتبات، الخاصة والعامة؛ حكراً على المسلمين فقط، بل كانت أيضاً لرعايا الدولة الأندلسية، من اليهود والمستعربين والمدجنين من نصارى الأندلس الحق في الإستفادة منها [2]، فظهر علماء كبار من الطراز الأول كأبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي الرياضي والطبيب والفلكي[3]، واليهودي حسداي بن شبروط طبيب الخليفة الناصر[4]، وإبن وافد الطبيب المنجم وإبن خميس الفلكي، ونضف في الحسبان إلى هذه العوامل، عامل الوفادة العلمية لطلاب العلم النصارى من أوربا إلى قرطبة، للتعلم والإقتباس الحضاري العلمي، ثم العودة إلى بلدانهم،وهم محملين بالعلوم والمعارف التي تعلموها في الأندلس، ومع بعض الكتب العلمية معهم، يتضح لنا مسار الذي إتبعته المؤلفات العربية من أرض الإسلام إلى أرض النصارى، فدخلت تلك المؤلفات أديرة أوربا بصفة عامة وأديرة شمالي

---

(1) العامري، بصمات بيت الحكمة، ص 14.

(2) وكان هولاء يجمعهم عاملان لا ثالث لهما، الإعجاب بالحضارة الأندلسية، والرغبة القوية بتعلم اللغة العربية والكتابة بها، كما مربنا من شكوى القس (الفارو) القرطبي من هجرت أهل ملته للغتهم القومية الخاصة بهم، وتهافتهم على قراءة كتب الثقافة العربية الإسلامية، وترك قراءة أناجيلهم بلغتهم، وزيادة لجهلهم أصلاً باللغة اللاتينية.

(3)مسلمة المجريطي: ولد الطبيب والعالم الرياضي و الفلكي المجريطي سنة (338هـ /900م) بمجريط (مدريد) الغاصمة الأسبانية الأن، ودرس وأخذ علومه في قرطبة، وهو الذي ترجم من اليونانية إلى العربية (كتاب تسطيح بسط الكرة) لبطليموس، وترجم هذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية، ولسوء الحظ فقد فقِدَ وضاعَ النص العربي الأصلي وبقيت الترجمة اللاتينية، وكان له الفضل في ظهور النهضة العلمية الأندلسية في فروع العلوم التطبيقية كالرياضيالت والفلك توفي المجريطي، سنة (398هـ / 1007م).
ينظر: صاعد الأندلسي، طبقات الامم ص69.؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص482.، ص حميدات أعلام، م5 ص ص 515-519.

(4)الذي قام بمعية القس نيكلاس بمراجعة المادة الطبية لكتاب ديسقوريدوس (الحشائش) التي ترجمها في بغداد حنين بن إسحاق، وذلك بالإعتماد على المخطوطة المهداة للخليفة عبدالرحمن الناصر خصيصاً من إمبراطور القسطنطينية.

إسبانيا وجنوب فرنسا بصفة خاصة، في عملية الإحتكاك المباشر بعلوم العرب المسلمين، والقيام بترجمة مؤلفات عربية في الطب والرياضة والفلك كدير سنتا مَارَيا في ريبول القطلونية الإسبانية [1].

و (إلى هذهِ الفترة بالذات تنتمي بعض النصوص الخاصة بطريقة العرب في العمل الحسابي، وبالأرقام الجديدة المدعوة بحروف الغبار، وحفظ هذهِ النصوص ضمن أعمال المجموعة الطبيعية المشهورة " Albeldesc Emilinense ")[2]

فقد قام الأساقفة والرهبان والنبلاء بجهود مادية وعلمية في تشجيع حركة الترجمة للمؤلفات العربية العلمية، كما لم يكن بإستطاعة النصارى الحصول على مؤلفات الإغريق وفلاسفتهم إلا عن طريق العرب المسلمين ونقولهم، وإستمر الحال على ذلك بضع قرون[3]، وبفضل العرب تمكن النصارى من الإطلاع على مؤلفات بطليموس و أرسطو طاليس و إقليدس وغيرهم، فإنكشف إتساع آفاق هذهِ المعارف لاسيما؛ أن المؤلفات اليونانية وصلت إليهم مشروحة ومُعَلق عليها، ومضاف إليها معارف جديدة، أكسبها العرب ثمرة الإزدهار الكبير الذي شهدتهُا الثقافة العربية الإسلامية [4].

ظهرت الترجمة للتراث العربي في مدرسة طليطلة (Toledo) قبل غيرها من مدن الأندلس بصورة فعّالة ونشطة بمرحلة من اللغة العربية إى اللغة اللاتينية، ومرحلة ثانية من اللغة العربية إلى اللغة الإسبانية مباشرة [5].

ويرجع الفضل في إزدهار حركة الترجمة والنقل في إسبانيا إلى جهود بيت الحكمة، وما قام بهِ من إنجازات على علمية حفّزت وشجعت إسبانيا وأوربا على إنشاء مدارس وإرسال بعثات للإطلاع على الثقافة العربية [6]، وتولى أسقف طليطلة ريموندو Raimendo(1126-1152م)، وكبير مستشاري ملوك قشتالة، مدرسة نظامية للترجمة[7]، وبعد أن تولى رايمندو منصبهُ بأت المرحلة الأولى من تأسيس مدرسة المترجمين بطليطلة الذي أعتمد إلى يهودي متنصر وهو يحيى بن دريد الإشبيلي و إلى الراهب المدعو دومنكو كوندليسفي (D.mingo Gondisalve) وكلفهما بنقل الكتب العربية في الرياضيات والفلك والفلسفة، وكان يحيى الإشبيلي يحسن اللغة العربية والقشتالية، ينقل من العربية إلى القشتالية، ويقوم كوندليسفي مباشرة بترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والذي كان يسعى دائماً بالتوفيق بين المضمون العربي والمعتقدات النصرانية[8] وفي هذهِ المرحلة الأولى من تأسيس مدرسة الترجمة بطليطلة ظهرت الترجمات الأولى، والتي أطلق عليها المختصون إسم (الترجمات الطليطلية الأولى) والتي كانت

---

(1)الأندلس قرون من المتقلبات ص 130.

(2)محمد سويسي، العلوم العربية في الاندلس ونقلها الى اوربا، ص ص4-5.

)3(J.F.O'callaghan: Op.cit p.33o.

(4)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 51.

(5)بيدال، رامون منندث، إسبانيا، وإدخال العلوم العربية إلى الغرب، تعريب أحمد لطفي عبد البديع، مقالة في في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، لسنة 1955م، المجلد الثالث، ص ص 187-188.

(6)العامري، بصمات بيت الحكمة، ص 14.

(7)الوراكلي، ياقوتة الأندلس، ص ص 34-35.

(8)شيخة، دور مدرسة المترجمين بطليطلة، ص 132.

من مجهودات اليهودي المتنصر ابن داود المعروف بـ (يحيى الإشبيلي)، جَبلَ أعضاء هذهِ المدرسة في نقل المؤلفات العربية، فتمت ترجمة روائع المؤلفات في الرياضيات والفلك والطب والكمياء والطبيعة وماوراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة، كما ترجم أعضاء المدرسة مؤلفات العلماء والفلاسفة الإغريق وشروح أعلام الفكر العربي الإسلامي عليها، وكان المترجمون فيها يعملون على شكل جماعات، وعلى رأس كل جماعة مراجعون ومحققون، وكان النقل يجري أحياناً من اللغة العربية إلى اللاتينية، وأحياناً أخرى من العربية العبرية أو القشتالية؛ ومن هاتين اللغتين إلى اللغة اللاتينية[1].

إن تأريخ الثقافة الإسبانية قلما تشهد حقبة مثل تلك في العصور الوسطى، لما أخذت العلوم العربية تنتشر من طليطلة وترسل أنوارها إلى فرنسا، وتخلق صراعاً طويلاً بين المدرستين؛ أدى أخيراًإلى نشوء المذهب الرشدية، ولكن قبل ابن رشد ظهرت باللغة اللاتينية بفضل المترجمات في طليطلة مؤلفات الكندي والفارابي و إبن سينا و أبن جيرول، فقد إنبثق من كتاب هذا الأخير " ينبوع الحياة" مذهب الحلولية عند أملريكو " Amalrico" الذي يمكن أن نخلطهُ بإبن رشد والرشدية[2].

إزدهرت حركة الترجمة في إسبانيا وأصبح عدد الكتب المترجمة يثير الإعجاب والدهشة، وأطلقت أسماء العديد من المدن الإسبانية على مجموعة المخطوطات الرياضية والفلكية التي تعود لذلك العصر، فمن بين هذهِ المدن التي كان أساقفتها تواقين إلى المعرفة طرطوسة Tarazona وبنبلونة Pamplona وبرشلونة Barcelona وسرقسطة Zaragoza و طرطوشة Tortos، فضلاً عن طليطلة Toledo التي كانت رائة بالترجمة، فتوافد عدد كبير من العلماء الأوربين المتلهفين إلى المعارف الشرقية، وإحتلت مدرسة طليطلة مكانة ممتازة لأكثر من قرن بفضل دعم ومساعدة رايمندو، وكما كان دومينكو كونثالبوا (Domingo Gonzalbo)الذي يرجع إليه الفضل في إستخدام اللغة اللاتينية لأول مرة، كما كان من أنشط المترجمين، ثم إستمركابن داود اليهودي المتنصر في الترجمة مع دومنكو كنثالبوا [3]، وكان ابن داود اليهودي يترجم النص العربي إلى اللغة الإسبانية الدارجة شفويا، ويقوم دومنكو كونثالبوا على الفور بتحرير ما يسمعه من ابن داو اليهودي باللغة اللاتينية[4].

ويبدوا أن أسلوب الترجمة المتبع في مدرسة طليطلة للترجمة كان متأثراً بأسلوب الترجمة في بيت الحكمة، ويوكد لنا ذلك أوليري(O'leary)قوله: ((كانت الطريقة المستخدمة في هذه المدرسة والمتبعة في القرون الوسطى، هي أن يستخدم الموظفون في الترجمة فيضعوا الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الأصل، ثم تراجع اللاتينية على يدي كبير الموظفين، وتحمل الترجمة بعد إنتهائها إسم من راجعها، وكانت هذهِ الطريقة آلية للغاية، فكان المترجم الأول يعامل معاملة الأقل في الأهمية، ويبدو أن إعداد الترجمات كانت تحدث بحسب الأوامر وبالطريقة نفسها لتي كان يحدث بها نسخ النصوص، فلم تعد أكثر إتصالاً بالمعرفة من

---

(1)علي، محمد كرد، محاضرة حول ترجمة التراث الأندلسي، ألقاها في المجمع العلمي العربي، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، تشرين أول، 1927م،؛ ينظر، مجلة الإستشراق، العدد الثاني، شباط، 1987م، ص 151.

(2)Historia de los Heterodoxos españoles l.BAC.pp.426-428.

(3)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص ص 62-63.

(4)بيدال، إسبانيا وإدخال العلوم العربية إلى الغرب، ص 118.

عملية النسخ، كما لم تكن مهمة المراجع أكثر من أن يتأكد من أن الجمل اللاتينية كانت صحيحة من الناحية اللغوية، أما تراكيب الجملة فكانت لا تزال عربية الطابع، وكان في الغالب في منتهى الصعوبة في الفهم على القارئ اللاتيني، ولاسيما حين تكون الكلمات الصعبة مجرد ترجمة للكلمات العربية))[1].

ذاعت شهرت مدرسة طليطلة للترجمة ووصل أصدائها إلى أنحاء أوربا، وهرع إليها نفر كبير من الدول الأوربية منهم:

ويعد جيرارد الكريموني أفضل هولاء المترجمين وأنشطهم، فقد نقل إلى اللغة اللاتينية (71) مولفاً عربياً [2] هاماً في مختلف الأثار العلمية لعلماء العرب والمسلمين، و تبدأ المرحلة الثانية لمدرسة الترجمة في طليطلة، بمجيئ جيراد الكريموني(Gerado de Cremona) الإيطالي (583هـ/1186م) والذي يعتبر من أشهر المترجمين في هذهِ المدرسة، والذي قام بترجمة كنوز العلم والمعرفة العربية الأندلسية، ومن أشهر ما ترجم كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) للطبيب والجراح الأندلسي أبي القاسم الزهراوي، وكتاب (القانون في الطب) لإبن سينا، وكتاب (المنصوري) للطبيب الرازي، وكتاب (الأدوية المفردة والأغذية) لابن وافد[3] وبذلك تكون مدرسة طليطلة في مرحلتها الثانية قد فتحت الباب على مصرعيهِ أمام أوربا لتنهل مما جاد بهِ أطباء وعلماء وفلاسفة الأندلس من كنوز علمية أثرت بنهضة أوربا كثيراً.

علماً أن هذهِ المترجمات المنسوبة إلى جيرارد الكريموني لم يقم بها كلها، لأنه كان يرأس لجنة مجموعة الترجمة بطليطلة، وكان مجموعة كبيرة من المترجمين يعملون تحت يديهِ وتحت إشرافهِ ورعايتهِ، وقد كان جلهم من أصول عربية أو من المستعربين(Mozarabes)، فأحد المترجمين ممن يعملون تحت يديه كان إسمهُ غليبوس (Gallipus) وهو كما ملاحظ تحريف للإسم العربي غالب[4].

وفي الفترة نفسها وفي المنطقة ذاتها، ظهر عالمان وهما هِرمان دي دلماتي (Hermann de Dalmatie) والإنكليزي روبرت دي كتون (Robert de Ketton) وترجما معاً كتاباً في الفلك وأحوال الجو، إى غيّر إتجاههما الأسقف بيار لفترايل (L'abbe.Pierre le venerable) إلى الإتجاه إلى العلوم الكنسية النصرانية، والمذكور بيار هذا (487هـ/1141م)؛ كانت سبب تواجدهُ في أسبانيا، كونهُ مكلفاً بمهمة سياسية سنة (536هـ/1141م) للتوفيق بين الفونسوا السابع ملك قشتالة والفونسو الأول ملك الأرغون، والذي قام بإقناع العالمين السالفين بترجمة القرآن[5]، وقد أغراهما بأموال كثيرة، فأكملا هذهِ الترجمة سنة (536هـ/1143م)، وذلك رغبة في معرفة أسرار خصومهم المسلمين حتى يتمكنوا من الدفاع عن النصرانية والوقوف بوجه المسلمين[6] وإنطلاقاً من هذهِ الترجمة للقرآن بدأ في الغرب وأوربا ما عُرف بالجدل الديني عن عقائد النصرانية ضد

---

(1)أوليري، ديلاسي، الفكر العربي ومكانته في التأريخ، ترجمة تمام حسان ومراجعة مصطفى حلمي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب/ت , ص ص281-282.

(2)The Mind of the Midddle ages.New York.:F.B. Artz 1953.PP238-239

(3)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص ص 111- 112.

(4)ابو عبية، الحضارة الإسلامية، المجلد الثاني، 978؛ شيخة، دور مدرسة طليطلة في الترجمة، ص133.

(5) بدوي، عبدالرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م، ص 441.

(6)محاسنة، أضواء على تأريخ العلوم، ص 292.

دين الإسلام وكتابه ونبيهِ (عليهِ صلوات الله وسلامهُ)، وتزّعّمَ هذهِ الحملة المسعورة المدعو بيار دي بواتيه (Pierre de Poities) الذي ألف كتاب (مختصر تعاليم محمد) مما أدى والصورة التي أنطبعت في الذهن الاوربي بعد ترجمة القرآن وتأليف كتاب المختصر؛ من أن القرآن ماهو إلا تحريف للكتب النصرانية المقدسة، ومن أن الإسلام العظيم، ماهو إلا فرقة من الفِرق الضّلة، والإسلام هو دين خرافات وأكاذيب، ودين عنفٍ وسيف، وما محمد إلا صورة مضادة للمسيح عيسى بن مريم (عليهما افضل الصلاة والسلام)،ومن خزانة الأدب الصليبي نورد شكوى هيرمند الروماني الدومنكياني (1263-1254م) في كتاب له وضعه للوعظ ذكر فيهِ: أنه لا يوجد إلا عدد قليل من النصارى الذين يفهمون القليل عن محمد والمسلمين، وأن فهمهم هذا لا يتعدى حدود القول؛ بأن المسلمين كفار وأنهم لا يؤمنون بالمسيح بل يعبدون محمد كإله[1]، ولولا وقوف ريمندو بطليطلة أمام هذا التيّارالأهوج والجارف لنَفَرتْ أوربا من كل ما ينسب للعرب والمسلمين، وبالتالي تحريم خلاصة الفكر الإنساني الذي قدِمَ للغرب وأوربا عن طريق العرب بطبق من ذهب[2].

غير ان ما إستثنينا ترجمة المدعو بطرس للقرآن، فإن ترجماته كانت مزوّرة ومنحلة، ليست جزءاً من الكتاب المقدس الإسلامي، هذا على الرغم من إنها خدمت إحدى أهدافه الرامية إلى تكذيب الإسلام بصورة وافية جداً [3].

ومع بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ساهمت مراكز أخرى في حركة النقل في برشلونة، حيث قام بلاتون دي تفولي(Platon de Tivoli) وبالتعاون مع اليهودي أبراهام باراحي (Abraham Barahiyya) بترجمة كتب بالهندسة والفلك، وهي مؤلفات كانت بالعربية، وكان بعضها بالعبرية، إذ شهدت إسبانيا في هذه الفترة حركة ترجمة كبيرة للكتب العربية إلى العبرية

ففي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي،، إستمر النقل وفي مرحلتها الثالثة في مدرسة الترجمة بطليطلة، فقد مّرَ بطليطلة سنة (614هـ/1317م) ميشال سكودو المتوفي سنة (634هـ/1236م)، والذي سيقوم خارج طليطلة بترجمة كتب أرسطو وشروحات ابن رشد عليها، وتستمر عملية النقل على يد من أمثال ماركوس (Marcos)، وميخائيل سكوت (Miguel Escoto)، إلى يأتي عهد الفونسو الحكيم (Alfonso el Sabio)، الذي شجع على الترجمات العلمية والتأريخية.كتب العلوم العربية.

وبنهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، لم تنته حركة الترجمة والنقل بطليطلة، ولكن ظهرت مراكز أخرى في مثل نشاطها أو أقوى، حتى بدى لبعض المؤرخين أن حركة الترجمة إنتهت بطليطلة، ولكن الأمور نسبية فقط، فحركة الترجمة للكتب العربية ستنتقل إلى مراكز أخرى جديدة كمونبيلي (Montpeller) وباريس شارتر(Charters) وتولوز(Toulouse) ورايمس (Reims)، وقد ساعدت نقل المعارف الإسلامية إلى الغرب، على التمهيد لتأسيس الجامعات، فتأسست جمعتا ساليرنو وبولوني في إيطاليا، وجامعتا باريس ومونبليه في فرنسا، وأكسفور في إنكلترا [4].

---

(1)Darbishire Christian of Islam in the Middle Ages, The Moslem world Quarterly VOL.xxvlll also Sweetman, Ibid, 65

(2)شيخة، دور مدرسة طليطلة، ص ص 133-134.

(3)مونيكال، الدور العربي في أدب القرون الوسطى، ص183.

(4)سعد الدين، إنتقال العلوم العربية، ص 26.

وفي هذهِ المراكز تنوعت الترجمات، ولم تكن الترجمة إلى اللغة اللاتينية فقط، بل اللغات العبرية والرومانية، كما أن المترجمين من العلماء بدءوا في تأليف كتب في نفس مواضيع الكتب المترجمة بالتقليد والتلخيص تارة، وبالشرح والإنتحال تارة أخرى.

ثانياً: طرق الترجمة والنقل في مدرسة طليطلة.

وتمت الترجمة على عدة طرق منتخبة في الترجمة النقلية، يقتضي البحث من تبيانها والوقوف عليها على أهم مزايا كل طريقة، وهي: الترجمة من الإغريقية، وكما هو معروف بكل تأكيد من أن المكتبة العربية الإسلامية التي إزدهرت في الأندلس أبان الحكم العربي الإسلامي، كانت تحتوي على مصنفات إغريقة، وصلت إلى قرطبة بعضها من مراكز بحثية في العالم بوسائل شتى معروفة، وقد عمد المترجمون إلى نقل هذهِ الكتب والمصنفات إلى اللغة اللاتينية، فكانت عملية الترجمة للكتب الإغريقية تتم على النحو التالي:

- **الطريقة الأولى**: للترجمة من الأغريقية، لابد من يعمل على تحقيق الترجمة أن يجيد عدة لغات منها الإغريقية، فيقوم بترجمتها شفاهياً، ويتولى كاتب تسجيل الترجمة، فأمكانية دخول الخطأ أو التحريف في هذهِ الطريقة للترجمة ـ قد تتأتى فقط من قارئ المخطوطة أو من السامع المترجم، أو من الكاتب أو الناسخ.
- **الطريقة الثانية**: الترجمة للنصوص العربية،وتعرف بالطريقة المزدوجة، والتي تهمنا مباشرة لأن النصوص العربية في جملتها نقلت إلى اللاتينية بهذهِ الطريقة، وتقوم على إشتراك شخصين في عملية الترجمة، فالأول بلاشك يتقن اللغة العربية فيقوم بنقل النص العربي إلى اللغة القشتالية، وهي لغة شفوية غير مكتوبة، ويقوم شخص ثاني بالنقل من اللغة القشتالية الشفوية إلى اللغة اللاتينية [1]، وهي الطريقة التي إتبعها يحيى بن داود الإشبيلي وكونديسلفي،فالأول في هذهِ الطريقة للترجمة، كان يحسن العربية والرومانسية (القشتالية)، وكان الثاني يعرف اللغتين الرومانسية واللاتينية، ويمكن التمثيل للترجمة وفق هذهِ الطريقة بالتخطيط التالي:

عربي ــــ> قشالي ــــ> لاتيني

وهوَ الإسلوب الذي إتبعهُ المترجمون في القرن السابع الهجري الثالث الميلادي في مدرسة طليطلة للترجمة، فميشيل سكوت(Michel Scott) سواء ترجم في طليطلة أو خارجها كان متأراً بهذا الأسلوب.

- **الطريقة الثالثة**: وتعرف بالطريقة المباشرة، وهي طريقة الناقل الشهير جيراد الكريموني، فقد كان ينقل مباشرة من اللغة العربية إلى اللاتينية، لهذا كانت أغلب مترجماته كانت موفقة نسبياًّ، لذا فقد قام جيرارد بإعادة بعض مترجمات ابن داود يحيى الإشبيلي و كونديسلفي، لإعتقادهٌ بوجود أخطاء وسلبيات في ترجماتهم، لأنه كان يميل إلى إزالة الوسيط الذي هو اللغو القشتالية الشفوية،، وكان جيراد الكريموني ينقل في بعض الأحيان وأمامه الترجمة العربية عن الأصول السريانية من النص اليوناني الأم[2].

---

(1)فيرنيت، وان، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، ترجمة نهاد رضا، دار إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، 1997م ص 181.

(2)العامري، بصمات بيت الحكمة، ص 15.

ثالثاً: سمات ومساوئ ترجمات مدرسة طليطلة للتراث العربي

ومما إمتازت به هذهِ المترجمات للنصوص العربية من التراث العلمي العربي الإسلامي الأندلسي،والتي تفيدنا في الجملة بالنص العربي أسلوباً وتركيباً، أي إذا عُدِمَ المصطلح الفني المناسب للمدلول المترجم، فإنه كان يأخذ بالمصطلح العربي، مثال ذلك:

مأن مصطلح " المعين " الوارد في النص العربي فإنهُ ترجم بـ (Helmuhayan)، ومصطلح " بنات نعش " بـ (Benenas)، ومصطلح "آوج" بـ (Opogeo)، ومصطلح " المدارات " بـ (Almudarat)، ومصطلح "الزيج" بـ (Ezeig).. الخ.

وللترجمات الحرفية التي تمت في مدرسة طليطلة، كان لها مساوئ خطرة لا تغتفر، منها على سبيل المثال؛ عِندما يعجز المترجم عن فهم لفظ بعينهِ فإنهُ ينقل الكلمة كيفما إتفق، تاركاً مسؤولية حل الغموض للقارئ، والأخطر من هذا حذف بعض الفقرات بالكامل والتي تخل بالمعنى، فتقع الأخطاء التي لا تُقبل من الناحية العلمية والمخلة أصلاً بروح النص، ومثالنا على ذلك؛ النص المترجم لكتاب (مقاصد الفلاسفة) للغزالي، فقد نشِرَ في الترجمة اللاتينية من دون مقدمة الغزالي على الكتاب، فَعَدَ اللاتين كل الأفكار التي إنتقدها الغزالي أراءهُ الخاصة.

ومعلوم أن بعض هذه الترجمات وقعت من العبرية إلى اللاتينية،فقد عمد المترجمين اليهود إلى التلاعب بالنص وتحريفهِ(1)، بأن قاموا بحذف وتحريف جميع الآيات القرانية الوردة من النص المترجم بنصوص من توراة اليهود، وكما حرّفوا أحاديث الرسول الكريم محمد (صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم) بأقوال مأخوذة من تلمود اليهود، والتلمود كما هو معلوم بأن التلمود هوأقوال وتفسيرات أحبار اليهود للحِقب التأريخية من بعد موسى النبي، وهو ثاني كتاب مقدس لديهم بعد التوراة، كما عوضوا لفظ الجلالة أو إسم النبي الكريم بإسم موسى أو بعض حكماء بني إسرائيل، بل حتى تلاعبوا بالتأريخ الموّثق والثابت تأريخياًَ، بتحريف وحذف أسماء رجالات التأريخ العربي الإسلامي ممن كان لهم أثرهم، بِأسماء من التأريخ اليهودي، ويلاحظ كل ذلك من خلال ترجمتهم لكتاب (تهافت التهافت) للطبيب و الفيلسوف ابن رشد القرطبي وفي ترجمتهم لكتاب (ميزان العمل والقِسطاس المستقيم) للإمام الغزالي، كما فعل قسطنطين الأفريقي خلال ترجمتهِ لكتاب (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس، ونسب الكتاب لنفسهِ(2).

وهذه مطابق لصدق حدس المحتسب ابن عبدون (ت 493هـ/1100م) عندما نهى أن يباع كتب العلم لليهود والنصارى؛ عدا الكتب الخاصة بملتهم، خوفاً من ترجمة الكتب العلمية العربية وإنتحالها لعلماء ملتهم من القساوسة والحاخامات، والذي أكدهُ بقولهِ:

((يجب ألا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب العلم؛ إلا ما كان من شريعتهم؛ فأنهم يترجمون كتب العلوم وينسبوها إلى أهلهم وأساقفتهم، وهي تواليف المسلمين))(3).

ولكن رغم كل ذلك فأرى متواضعاً؛ أن من أن اليهود قد خدموا الفكر العربي الإسلامي، بما قاموا بهِ من الترجمات من العربية إلى العبرية في المرحلة الأولى، فحفظوا بذلك الكثير من

---

(1)وهذا مصداق لقولهِ تعالى في القرآن چـ ٱ ب ب ٻ ٻ پ ب پ ٻ پچ سورة البقرة الآية 120.

(2)عوض، الحروب الصليبية، ص 375.

(3)ابن عبدون (اواسط ق12/6م)، ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، الفصل رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م، ص 97.

الأصول العربية التي فقدت أصول مخطوطاتها الأولى، فأخذت عن الترجمة العبرية، وكذلك أنفرادهم بترجمة المخطوطات العربية الأدبية واللغوية بسبب قرب اللغة العربية من اللغة العبرية، ذلك أنها تنتمي إلى عائلة اللغات السامية، والتي أهملت ترجمتها أصلاً في مدرسة طليطلة للترجمة وغيرها من مراكز الترجمة.

ولكن التصرف في الترجمة الذي قام به بعضهم كان بعيداً كل البعد عن الموضوعية والتجرد العلمي السليم، جعل من المورخين المتسرعين من أوربا والغرب، وكثير من المستشرقين، يحكموا على تأريخنا الحضاري في المجال العلمي والفكري، وعلى الفلسفة الإسلامية حكماً قاسياً، فهي من وجهة نظرهم شوهت الفكر اليوناني ولم تفهمهُ.

ونستبين من خلال الملاحظة في مترجمات الثراث العربي الإسلامي في إسبانيا، كانت دون المستوى المطلوب، من حيث الأمانة العلمية، وهنا تقع المسؤولية التأريخية على عاتق الباحثين العرب الغيارى للغربلة والتصحيح والتصويب للتراث، ولكن هذهِ المجهودات تبقى دون جدوى،إذ لم يتصل الباحث العلمي مباشرة بالنص الأصلي للتراث العربي، دراسة وتحقيقاً وشرحاً، دون الإعتماد المباشر على ترجماتهم وتحقيقاتهم، سيّما ولله الحمد أن المخطوطات الطبية والعلمية الأصيلة والتي تمثل قمة للإبداع العلمي الحضاري الإسلامي موجودة ومتناثرة في متاحف ومكتبات العالم يمكن الوصول إليها بيسر عبر شبكة المعلوماتية العالمية.

وأن التأريخ لمدرسة طليطلة في الترجمة هو مساهمة لإبراز نصيب الحضارة العربية الإسلامية في التراث العلمي المشترك للإنسانية جمعاء، كما يهدف إلى إصلاح لكثير من الأخطاء التي أرتكبت عن قصد أو في أضعف الإيمان؛ عن غير قصد، في حق المجهود الجبار الذي قدمه العرب المسلمون وعبر تعدد مراكزهم الحضاري تأريخياً، والذي كان ختامه المسك في الأندلس التي بلغت قمة تألقها الحضاري في كل الجوانب والتي منها الجانب العلمي والطبي، في زمن عُرّف بالقرون الوسطى، حيث كانت أوربا في تخلف وجهل وبعيدة كل البعد عن التحضر الإنساني، فكانت الأندلس شعلة وهاجة تنير أوربا ومن ورائها العالم، فوقع المترجمون للتراث العربية بأخطاء لا تغتفر في حق العلوم، وهو السطو الأثم على مجهودات الغير؛ بأن يقوم المترجم للتراث العلمي العربي بالترجمة ويُّنسِبَهُ لنفسهِ أو لغيرهِ من علماء ملتهِ لسلب الحق العربي، وحتى المترجم قسطنطين الأفريقي مشهود لهُ بهذهِ النقيصة، وكذلك ميخائيل سكوت يؤلف كتاباً بعنوان (Quaestiones) جمع فيه من لأراء منحولة عن البطروجي وابن رشد وينسبهُ إلى نيكولاوس دامسنوس شارح أرسطو في القرن الأول الميلادي، وكما ترجموا كتاب (الأحجار)لابن سينا ونسبوه لأرسطو، ونسبوا كتاب (العين) لحنين بن إسحاق إلى جالينوس، ونسبوا كتاب (الماليخوليا) لإسحق بن عمران إلى روفوس.

ومن الأخطاء التي يجب الدعوة إلى تصحيحها، ما نلاحظه في الموسوعات العلمية المنتشرة اليوم،بإعادة نسبة الإكتشافات العلمية في الطب والفلك والمناضر وعلم المثلثات، إلى العرب المسلمين المكتشفين لها، والتي تنسب في علم تلك الموسوعات خطأ إلى علماء أوربيين، بيما المكتشف الحقيقي لها هو عربي مسلم، وغمط الحق بالإنتحال هو حق لعلماء المسلمين في تبوّء المكانة المرموقة التي يستحقونها بجدارة في تأريخ العلوم.

والحقيقة التي لايشك بها إلا حاقد لئيم أو متعصب أعمى الله بصيرته، أن هذهِ الترجمات للتراث العربي الأصيل والتي قدِمَتْ لأوربا والغرب، قد ساهمت بل وأثرت في التقدم والتطوّر الحضاري الأوربي بعد نقلها إليهم، بعد أن كانت أوربا تتخبط في كهوف الجهل والظلام

والتخلف في القرون الوسطى، وسيطرة الكهنوت الكنيسي لها عليها، فأحدث هذهِ الترجمات للعلم العربي مفعولها، بعد قدمت الأندلس الإسلامية خلاصة مفردات التحضر في المعارف والعلوم الحضارية الضرورية كاملة مشروحة ومنقحة وفي كل مجالات العلم والمعرفة، مما أدهشتها وأيقضتها من سباتها الطويل،فساهمت بذلك بتعجيل التطور والتقدم الحضاري الأوربي، بعد أن تعلمت من العرب البحث العلمي المجرد وأصولهُ من العرب المسلمين الذي، طبقه وضبطه العلماء المسلمين، وتوصلوا بها إلى نتائج أبهرت أوربا، من أنجازات علمية رصينة مهدت لأوربا الطريق الموّصل في التطور الحضاري لأوربا والغرب.

إن الجهد الرائع الذي بذله مترجموا الكتب اليونانية في القرن التاسع، الذي تجددَ في إسبانيا بعد أن ترجمت من العربية إلى اللاتينية، وكان موضوعها العلم العربي الإسلامي التي زخرت بها الأندلس، وبذا يكون الشعب العربي قد أعطى للتقدم البشري أعظم مساهمة في القرون الوسطى [1]، مما أدى إلى تغير وجه الثقافة في أوربا تغيّراً كاملاً بعد ظهور الترجمات للتراث العلمي في الأندلس، إذ بنى الغربيون حضارتهم على المترجمات التي توزعت على مختلف البلدان الأوربية[2].

المبحث الرابع
إزدهار حركة الترجمة في طليطلة في عهدالفونسو العاشر الملقب بالحكيم، ملك قشتالة وليون
Alfonso X, El Sabio Castilla y LeÓn

أولاً: المدرسة الفونسية لترجمة التراث العلمي الأندلسي.

بعدإحتلال طليطلة عام (1085-478م) من قبل ملك قشتالة الفونسو السادس Alonso vI أصبحت طليطلة مركزاً لحركة الترجمة في إسبانيا تنافس بغداد وغيرها من مدارس الترجمة، تعمل على ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة القشتالية (Castellano)، وكانت تصل إلى الأندلس من أقصى أرجاء العالم الإسلامي من الكتب المتراكمة في الخزائن الملكية، كما افتتحت الترجمة التي أنشأها الملوك والأساقفة في طليطلة مثل الأسقف رودريكو دي لاردا (Rodrigo de Larda)

(1)ريسلر، الحضارة العربية، ص 228.
(2)الحايك، نقل الحضارة العربية، ص 11.